

حديث صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للقناة التلفزيونية الفرنسية «فرانس 2»

بثت القناة التلفزيونية الفرنسية «فرانس 2» يوم 2 رمضان 1414 هـ الموافق 3 مارس 1994 برنامجا عن مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء استهلته بحديث أجوته مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني كـ «ضيف استثنائي» في هذه الحلقة الأولى من سلسلة برامج تبثها هذه القناة بمناسبة شهر رمضان تحت عنوان «قافلة الليل».

وأبرز جلالة الملك الحسن الثاني في هذا الحديث الذي أجواه مع جلالتة في المغرب منشط الحلقة السيد فريدريك ميتران.. أن المغرب يقدر ما هو متجذر في أكثر الممارسات قويا من أصول ومنايع الدين الإسلامي الحنيف، يقدر ما هو مفتوح على الدعوة للتسامح مع الديانات الأخرى.

ويتضمن برنامج «قافلة الليل» الذي يخرج السيد توفيق فارس والذي أقتنع بهذا الحديث مع جلالة الملك وبروبورتاج مطول من مسجد الحسن الثاني باعتباره «أحدث الصروح المقدسة في الإسلام» سلسلة من الحلقات المخصصة على التوالي لجامع الزيتونة في تونس و مسجد مدريد بإسبانيا وجامع تو سيوكتو بمالي.

وفيما يلي النص الكامل لحديث صاحب الجلالة للقناة التلفزيونية الفرنسية:

سؤال:

يسعدنا ويشرفنا أن تستضيف في هذه الليلة الأولى من ليالي رمضان المخصصة لبرنامج «قافلة الليل» شخصية كبيرة ألا وهي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

واسمحوا لي يا صاحب الجلالة أن أعرب لكم في البداية عن تشكرات الجمهور الفرنسي بصفة عامة والمسلمين في فرنسا بصفة خاصة على تفضلكم بقبول المشاركة في هذا البرنامج.

إن سؤالي الأول يتعلق بظاهرة لفتت انتباهي كثيرا وهي أن هناك نوعا من الجهل في الغرب برسالة الإسلام وبالطريقة التي يمارس بها.

فهل يمكنكم أن تشرحوا لنا بإيجاز الأسباب الكامنة وراء هذا الجهل؟

جواب جلالة الملك:

أود في البداية أن أقول لكم كم أنا حريص كلما سمحت لي الظروف بذلك على متابعة برامجكم، ذلك أنني أجدها مطبوعة بروح الرغبة في المعرفة ونشرها خاصة وأن هذا البحث عن المعرفة يطبعه التواضع الذي لا يمكن تفسيره إلا بالحرص على احترام الآخرين.

وأود كذلك أن أشكركم على هذه المشاعر، لذلك إن إحدى خصائص الإسلام هي التواضع.

أما فيما يتعلق بالجواب على سؤالكم، فأظن أن انعدام التواصل هو الذي جعل الجهل يلف حقيقة الإسلام والحضارة والثقافة الإسلاميتين، ففي السابق كان علماءكم في العصر الوسيط يأتون من أجل المعرفة لتعلم اللغة العربية ودراسة الطب والفلسفة العربيتين.

أما الآن فقد انقلبت الآية وصرفنا نحن الذين نذهب للتعلم في الغرب. وأنا على يقين من أنه لو كان هناك انتشار أفضل لصورة الإسلام وحضارته برسائله لفتح ذلك آفاقاً جديدة للكثير من الأشخاص، ولا أدل على ذلك من هذا العدد الكبير من المستعربين والمختصين في الدراسات الإسلامية المعروفين خاصة في فرنسا. ذلك أن هؤلاء كتبوا أشياء رائعة عن الإسلام ولغته وثقافته بل إن البعض مثل ماسينيون الذي كان معتقلاً في سوريا جددوا إيمانهم من خلال التصرف الإسلامي.

وأظن في الوقت الراهن أن هناك ما يكفي من وسائل النشر بحيث يمكن لأي كان أن يشير اهتمامه وفضوله العالم الغربي بما نسميه الفنون والثقافة والحضارة الإسلامية.

سؤال:

من بين الأفكار المسيقة حول الدين الإسلامي التخوف من عدم تسامح هذه الديانة رغم تأكيد القرآن على أنه «لا إكراه في الدين». فكيف التعامل مع هذا الواقع..؟

جواب جلالة الملك:

إن الأمر يتعلق هنا أيضاً بالجهل، ذلك أن القرآن الكريم لا يتضمن هذه الآية

رحتها، بل هناك آيات أخرى في نفس المعنى وخاصة في سورة البقرة حيث يقول عز وجل: «كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله...» ومن بين تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما يجد مسلم نفسه في بلد غير إسلامي ويريد أن يصلي فلا يجد مسجداً فيبتغي عليه أن يبحث عن كتيسة أو بيعة لأداء صلاته بدل أدائها في الشارع أو في مكان عمومي. وأعتقد أن الجهل لا يمكنه أن ينظري إلا عن عدم التسامح. وعلى كل حال فإن لفظ الكرم الذي كان مستعملاً في القرن السابع عشر كان له في الحقيقة هذا المعنى. فحينما يقال عن رجل بأنه كريم فإن ذلك يعني أنه كان يعطي من فكره ولكنه يتقبل كذلك أفكار وعواطف الآخرين. وأعتقد أنه ليس هناك تناقض بين الأمرين وأن الأمر يتعلق هنا أيضاً بالجهل.

سؤال:

ألا يتعين التزام الحذر من مدلول بعض الكلمات التضليلي الذي هو رد فعل للجهل. فعلى سبيل المثال غالباً ما نفهم في صحافة الغرب أن لفظ «أصوليين» يعني حركات تقصد تفسيده رسالة الإسلام حسب فهمي. فهل أنا مخطئ؟ وكيف يمكن استعمال لفظ «أصوليين» الذي يتردد كثيراً...؟

جواب جلالة الملك:

من حسن حظ اللغة الفرنسية أن لها كلمتين لوصف هذه الظاهرة: فعندكم كلمتا «أصوليون» و«غلابة».

ونحن في المغرب أصوليون أي نفينا أقرب ما يمكن من أصول الدين الإسلامي الخفيف، ولكننا لسنا بغلابة وفي المقابل فلا توجد في اللغة الإنجليزية سوى كلمة «أصوليون».

فألغزو موجود في كل الديانات وهناك حديث لرسول الله يقول:

«إن هذا الدين يسر ولن يشاد أحدكم هذا الدين إلا غلبه»

اذن لماذا البحث عن غلو يمكن اعتباره نوعاً من المازوشية بالنسبة للفرد إذاً نفسه؟ وهي مازوشية تتحول إلى سادية وعدم تسامح تجاه الآخرين. إن الأصولية تعني التشبث بالأصول والتشبث بالفلسفة الحقيقية للدين ولدستنا الإسلامية هي التسامح والتساكن وفهم الآخرين.

سؤال:

صاحب الجلالة لقد سافرت كثيرا في المدة الأخيرة إلى الشرق الأقصى واسترعى انتباهي أننا نجد في عدد من المجتمعات - التي تعبد عدة آلهة أو التي تقدس آلهة من الطبيعة - شخصيات ذات سمو أخلاقي وفلسفات متنازة. فهل الدين توجيدي في كنهه وكيف تكون الحاجة إلى الله والبحث عن الإله في حد ذاتها أمر مهم؟
جواب جلالته الملك:

إن البحث عن الكمال في معرفة الله ليس أمرا محرما لا في الإسلام ولا في النصرانية ولا في اليهودية. بل على العكس فهو أمر مستحب. إلا أنه لا ينبغي أن يكون إلا من أجل معرفة الله الواحد الأحد. فما يميز الديانات السماوية الثلاث هي أنها أولا تنحدر من حيث التسلسل التاريخي من سيدنا إبراهيم، وأنها كلها تدعو إلى عبادة الله وحده. والله ليس بظالم فهو يسمح بالبحث عنه في الكتب المنزلة وفي الكون وفي كل ما خلق.
وأعتقد أنه ليس هناك أي تناقض بين البحث عن الله في الكتب المنزلة وبين البحث عنه في الكون بل على العكس من ذلك تتجلى عظمة الله في مخلوقاته. والأهميد أن محاولة البحث عن الله من باب الشرك هي بدعة تحرمها الديانات الثلاث.

سؤال:

لقد شاهدت هذا الصباح القس بيبير في التلفزة وقد استرعى انتباهي حماسه ومحرمته للجماهير من أجل فعل الخير. ما هو رأيكم في هذا الشخص؟
جواب جلالته الملك:

إنني أعرف القس بيبير منذ حوالي 35 سنة لما كان برلمانيا. وقد كان متحمسا جدا ولا زال.
وأنا أتتبع كل برامجهم ونشاطاته لأنه في نهاية المطاف يدعوا إلى البفظة واستباق الأحداث والبحث المعق إلى أقصى حد لمعرفة حاجيات الفقراء. إنه يبحث على الكفاح المتواصل من أجل تحسين وضعية الإنسان.
وكل هذه المبادئ هي تقليديا وتاريخيا مبادئ دياناتنا الثلاث. وهوية وم بذلك دورها في الحاضرة المتميزة بالحماس وحضور البديهة واختيار العبارة المناسبة

التي تكون مدوية عند الضرورة.. وأعترف بأنني أغبط القس بيسر على الخماس الذي لا زال يتحلى به وهو في هذا السن.

سؤال:

لقد سبق لكم في إطار الحوار الأخوي الذي نتحتموه مع أتباع الديانات الأخرى أن استقبلتم البابا وهو حدث ذو دلالة بالنسبة لنا نحن الغربيين، فما هو تقييمكم لدور هذا الحدث..؟

جواب جلالة الملك:

لقد جاء في القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام روح وكلم الله. وما أن البابا يمثل في شخصه كل أتباع الديانة المسيحية لا يعني بصفتي سبط الرسول وأمير المؤمنين إلا العودة إلى الأصول من خلال لقاء زعيم روحي آخر.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى في حياتي التي ألتقي فيها أحد الباباوات. فقد كان ببوس الثاني عشر هو أول من التقيت به وبعد التقيت بالبابا مرتين إحداهما في روما باسم لجنة القدس والثانية عندما شرفنا بقدومه لأرض الإسلام للقاء إخوانه في الله.

سؤال:

إن ما كان أكثر إثارة هو حشود الجماهير التي أتت لتحيته؟

جواب جلالة الملك:

أجل، لقد كانت هناك حشود غفيرة. ومرد ذلك كوننا عاشرتنا العديد من المسيحيين سواء الكاثوليك أو البروتستانت الذين لا تمنينا الخلافات الداخلية بينهم. فعدد من أساتذتنا وأطبائنا كانوا مسيحيين، وعليه فإن لقاء زعيم المسيحيين والكاثوليك ليس أمرا جديدا بالنسبة لنا. وما لاشك فيه أن شخصية البابا جنابة للغاية ولم يسبق لأحد الباباوات أن احتل الصدارة في الصحف والمجلات مثل البابا يوحنا بولس الثاني. كما أن لقاء شخصيتين بلباسهما الأبيض التقليدي يمثلان ديانيتين تدعوان للحب والسلام كان حدثا فريدا من نوعه وهذا ما جعل الشوارع تكتظ بالناس.

سؤال:

إن أداء فريضة الصوم يتطلب التحلي بإيمان قوي، واعتبارا لذلك تعتبر هذه

الفريضة متميزة من بين الفرائض الإسلامية الأخرى.
ما هو رأيكم في الأشخاص الذين يجدون مشقة كبرى في الصوم في بلد مثل
فرنسا حيث يسير المجتمع بوتيرة تختلف عن وتيرة الدول الإسلامية في هذا
الشهر؟

ماذا تودون قوله لهؤلاء الذين يقومون بهذا المجهود الكبير..؟

جواب جلالة الملك:

أقول لهم أولا بأن لهم أجر عظيم ذلك لأن الصيام زهد بصبح أكثر منهولة حين
يؤدي وسط الجماعة.

ثانيا من الأكيد أنه كلما توجهنا صوب الشمال إلا وأصبح النهار أطول والليل
أقصر ذلك عكس ما يعتقد البعض مع العلم أن أوقات العمل ليست مطابقة لتلك
المعمول بها في الدول الإسلامية.

لهذا فإن الذين يؤديون هذه الفريضة في مثل هذه الظروف يستحقون كل تقدير
وأنا على يقين من أن الله سيثيبهم على ذلك.

سؤال:

وهيئة عامة يا صاحب الجلالة إن ممارسة شعائر دين معين إما أن تكون مواكبة
للتحولات التي تشهدها مختلف العصور تبعاً للاكتشافات العلمية وللمجموعة من
الأشياء أولاً نكون، فهل الدين الإسلامي يساير التطورات الجارية؟

جواب جلالة الملك:

في موروثنا الإسلامي لم يسبق لنا نحن المسلمين أن وضعنا أحداً في محرقة..
ولم يسبق لنا إطلاقاً أن أحرقتنا أحداً لتخليصه من الأرواح الشريرة أو لأنه قال بأن
الأرض تدور. وإذن فنحن متفتحون بطبعنا ولذلك فإننا نتطور. وإلى ذلك نأت
حتى في عهد الرسول عرف الدين الإسلامي عدداً من التطورات. لقد أمر الله بقطع
يد السارق وهذا عقاب كما في جميع القوانين الجنائية. ففلسفة القانون الجنائي
تقوم على إعطاء العبرة لمن يعتبر لدرجة أنه حتى عقوبة الإعدام لم يشرع في
إلغائها إلا في غضون العقود الأخيرة. وكان الأمر إلى حد الآن كالآتي: من قتل
نفساً وجب قتله إما بضرب رقبته أو شنقه. وبالنسبة للإسلام فإنه بعد فترة وجيزة
من وفاة الرسول عم الجفاف فأمر الخليفة عمر بعدم قطع يد السارق لأنه كانت هناك

ظروف تخفيف. وبطبيعة الحال إذا قمنا - وأنا هنا أتحدث عن بلدي - بفعل نفس الشيء، فإننا سنضع أعباء اجتماعية ثقيلة على كاهل الدولة لأننا خلقنا معدما من الناحية المادية وعاجزا من الناحية الجسمية. كما سيكون من باب السخرية أن نطلب من شخص ما أن يذهب لتقاضي معاشه لأن يده قد قطعت. إذن لابد من مسايرة تطور البشرية. وإذا كان من غير الجائز المساس بالفرائض فإنه ينبغي التكيف مع العصر إذا كنا نرغب في التسامح الذي يعني الأخذ والعطاء. فإذا كان المرء يرغب في الأخذ فإن عليه أن يكون في مستوى هذا الأخذ وإذا كان يرغب في العطاء فعليه أن يتعلم الأسلوب البيداغوجي للعطاء. وإذن فإن الأمر يتعلق بتكيف متواصل من طرف المؤمن، لكن من دون المساس بأركان الإسلام المتمثلة في الإيمان بوحداية الله وبأن محمدا عبده ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا.

سؤال:

جلالة الملك لقد زرتا مسجد الحسن الثاني الرائع بالدار البيضاء وأريد أن أطرح عليكم سؤالا: هل هذا المسجد الرائع هو رمز لعهد زاهر أم هل هو عمل تابع من الإيمان أم هل هو تعبير عن الانتماء للأمة الإسلامية؟

جواب جلالة الملك:

هو قبل كل شيء عمل تابع من الإيمان وهو كذلك عربون محبة لمدينة الدار البيضاء التي كانت تدير لي مدينة بدين إشعاع رحي. وأخيرا إنه عمل وطني ذلك أنني أردت أن أظهر الآن وللأجيال القادمة أن المغرب هو ذلك البلد الذي سيواصل دائما ويعبرون الله التشبث بما هو تقليدي وثابت مع قبول أكثر التفتيات حداثة وتسخير هذا المزيج في ذلك الطابع الذي ميز المغرب على الدوام وهو كونه صلة وصل ليس فقط بين الشرق والغرب وإنما أيضا بين الأمس واليوم وغدا وهذا ما جعلني أشيد هذا المسجد.

سؤال:

هلا تفضلتم يا صاحب الجلالة قبيلا وداعنا بقول كلمة إلى كل من يشاهدكم من المسافرين والمسلمين والفرنسيين وإلى كل أولئك الذين بقوا أمام جهاز تلفزتهم لتتبع حديثكم هذا.

جواب جلالة الملك:

هادي، ذي بدء أقول لكافة الذين يشاهدوني مهما تكن معتقداتهم والسلام عليكم» وبعد ذلك سأطلب منهم أن يتصوروا بأن عدد المسلمين في العالم يصل إلى مليار ومائتي مليون، وإذا ما وجدنا ضمن هؤلاء المسلمين لنقل 0.001 بالمائة - وهذا على كل حال سيشكل بضعة ملايين - من لا يتماشى سلوكه مع بعض الشعائر الدينية ألا يحكم على الملبأ والمائتي مليون مسلم من خلال هذه النسبة، بأنني أود إبلاغ المشاهدين رسالة محبة لكون التسامح منبثق من رحم المحبة ولذلك فإننا نتمنى التسامح والأخوة ونطلب من الله نحن المسلمين أن يهدينا حتى لا نخدش قواعد حياة من نعيش بين ظهرانيهم.